Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

به ولا من يخترع الكلام اختراعا .

وبعد ان تحدث عن هذه المسألة وضرب الامثال قال : « وانما اطلت عليك ووضعت جميعه بين يديك لتعلم ان أهل الصنعة يعرفون دقيق هذا الشأن وجليله وغامضه وجليه وقريبه وبعيده ومعوجه ومستقيمه فكيف يخفى عليهم الجنس الذي هو بين الناس متداول وهو قريب متناول من أمر يخرج عن اجناس كلامهم ويبعد عما هو من غرضهم ويفوت مواقع قدرهم . واذا اشتبه ذلك فانما يشتبه على ناقص في الصنعة او قاصر عن معرفة طرق الكلام الذي يتصرفون فيه ويديرونه بينهم ولا يتجاوزونه فكلامهم سبل مضبوطة وطرق معروفة محصورة » (١) .

فتمييز الكلام من مهمة الناقد العالم الذي يميّز بين الاساليب ويعرف الجيد من الرديء ، وهي مهمة صعبة تحتاج الى عناية وروية وثقافة واسعة ولذلك قال : « إنَّك إذا كنت بصنعة علم اللسان متدربا وفيه متوجها متقدما امكنك الوقوف على ما ذكرنا والنفوذ فيما وضعنا والا فاجلس في مجلس المقلدين وارضَ بمواقف المتحيرين . ونصحت لك حيث قلت : انظر هل تعرف عروق الذهب ومحاسن الجوهر وبدائع الياقوت ودقائق السحر من غير معرفة باسباب هـذه الامور ومقدماتها وهل يقطع سمت البلاد من غير اهتداء فيها ولكل شيء طريق يتوصل اليه به وباب يؤخذ نحوه فيه ووجه يؤتى منه ، ومعرفة الكلام أشد من المعرفة بجميع ما وصفت لك واغمض وأدق وألطف وتصويرما في النفس وتشكيل ما في القلب حتى تعلمه وكأنك مشاهده وان كان قد يقع بالاشارة ويحصل بالدلالة والامارة كما يحصل بالنطق الصريح والقول الفصيح . فللاشارات ايضا مراتب وللسان منازل ورب وصف يبر عليه ويتعداه ورب وصف يقصر عنه . ثم اذا صدق الوصف انقسم الى صحة واتقان وحسن واحسان والى اجمال وشرح والى استيفاء وتقريب والى غير ذلك من الوجوه ، ولكل مذهب طريق وله باب وسبيل » (٢) وقد ادرك الباقلاني هذه الحقيقة فنقد الكلام عـلى

(١) اعجاز القرآن ص ١٢٤ .

(٢) اعجاز القرآن ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .